

في المجتمعات التقليدية يُحاكم الشخص إذا خالف توقع الجماعة

«ابقي معي» سيرة امرأة تكافح ضد التقاليد

في أغلب مجتمعات العالم الثالث، نجد شعوباً غارقة في تقاليد متكلسة، وأخرى تحاصر أفرادها وتكبثهم. تطلب المجموعة من الفرد أن يحقق ما تراه هي صلاحاً، وإن حاد عن أفكارها حاصرته وأذته إلى حد الإلغاء. ومن ناحية أخرى يواجه كل نفس تحرري سواء عند المرأة أو الرجل صخرة المجتمع الصلبة، التي في الغالب تهشم عليها الأفكار التحررية والتنويرية، وقد تنقلب تماماً إلى ضدّها، مثلما تبيّن الروائية النيجيرية أويبامي أديبايو.



هيثم حسين
كاتب سوري

تسعى النيجيرية أويبامي أديبايو في روايتها «ابقي معي» إلى استكشاف توقعات الناس من بعضهم بعضاً، وكيف يتخيل كل شخص من الآخر أن يكون كما يتصوره، أو يتوقع منه، في حال لم يكن بالصيغة التي يريده عليها، أو لم يطابق تصوره عنه، فإن الاختلاف يكون صامداً، وقد يدفع بالبعض إلى الخروج بنتائج تفكّر إلى الدقة والواقعية، وبعيدة عن فهم الطبيعة البشرية التي تنبدي في بعض المواقف متقلبة، تستجيب للأفعال والأفكار ببرد أفعال مختلفة.



أويبامي أديبايو تعالج مفارقات من تفكك البلاد بالموازاة مع التفكك الأسري وتبدل العلاقات الإنسانية بطريقة وحشية

حاضر البطلة، ويمضي بها إلى دروب الأمكنة التي ارتحلت عنها، لتستعيد أجزاء ومحطات من حياتها السابقة بين طياتها، وتعيد اكتشاف الوجوه والبشر فيها بعد اختلاف الأحوال.

أكين هو زوج يجيد، كان منحدراً من أسرة متنفذة ومتنورا، يعارض الأفكار التقليدية عن تعدد الزوجات، وزوجته يجيد متناغمة معه في أفكاره التقدمية، وتواصل تطوير عملها في صالون التجميل الذي تملكه، ويشكلان معا ثنائيا لافتا، لكن العواطف التي تظهر في سبيلهما لاحقا ترغمهما على النظر إلى الأمور بواقعية قاسية، وإن يتخذوا مواقف قد لا تتوافق مع مواقف سابقة لهما.

تصرح بجيد لنفسها بأن عليها أن تغادر المدينة وتذهب إلى أكين، حرمت حقائبها وتخلت عن أغلب ممتلكاتها، وهي التي أرادت أن تحل حياتها الجديدة محلها قبل أن تلقيه ثانية بعد فراقهما. وتقول إن السبب ليس أنها غدت متشعبة بالمكان الجديد، فهي لن تفقد الأصدقاء الفلاسل الذين اتخذتهم، أولئك الذين لا يعرفون المرأة التي كانت سابقا.

تقول إنها بمجرد أن ترحل ستسسى الرجل الذي طلب منها أن تصبح زوجته، ذلك أن لا أحد كان يعلم أنها زوجة رجل بعيد اسمه أكين، وهي لا تخبرهم إلا طرفا من القصة، تختصرها بقولها إنها كانت عاقرا، واتخذ زوجها زوجة أخرى له. وتنبه بان أحدا لم يحاول تقصي القصة أبعد من ذلك، وهي لم تحدثهم عن أية تفاصيل أخرى.

تنقل إلى تصوير العنف الاجتماعي المصاحب للخلف، والذي يكون أشرس وجوه التخلف وأكثرها إيذاء لبناء المجتمع، حيث الإحتراب الأهلي يبلغ أوجه، ويلقى شباب حنقهم لأسباب بسيطة، وكان العنف يصبح قدرا للناس هناك، أو كان القتل يكون انقاما لهم من أنفسهم ومن واقعهم، وسبيلاً لتسوية أمكنتهم بذريعة المحافظة عليها.

تقرر إغلاق صالونها ومغجر المجوهرات اللذين تملكهما، تفكر في الضحايا، يجافها النوم، تعود إليها مقاطع من حياتها التي هجرتها، ترى آكياس المخدات بتصميمها المطبوعة في غرفة نومها السابقة، ترى جيرانها، ترى عائلة زوجها التي اعتبرتها عائلتها لفترة، مضللة عائلتها أيضا، وترى أكين بحالته السابقة حين كانا معا.

تقرر إغلاق صالونها ومغجر المجوهرات اللذين تملكهما، تفكر في الضحايا، يجافها النوم، تعود إليها مقاطع من حياتها التي هجرتها، ترى آكياس المخدات بتصميمها المطبوعة في غرفة نومها السابقة، ترى جيرانها، ترى عائلة زوجها التي اعتبرتها عائلتها لفترة، مضللة عائلتها أيضا، وترى أكين بحالته السابقة حين كانا معا.

تفكر في الحقائق التي حرمتها، والتي تتمتع فيها، وحين تخطر لها فكرة أن بيتها قد يحترق وتتساءل أبة حقيبة منها ستختار لتنقذها من الحريق، تقول إنها لن تحصل أبا منها في البداية، ثم تقول إنها ستختار حقيبة فيها أشياء بسيطة لقضاء الليلة التي خططت لتقضها هناك حين تحضر جنازة والد أكين، وستحمل معها كيسا جديا فيه مجوهرات الذهب، تصرح لنفسها بأن الأشياء المهمة كامنة في داخلها، ومغلق عليها في صدرها كما يُغلق القبر على ما فيه، مكان أبدي، صدوق كنوزها الشبيهة بالتابوت.

تكتب أديبايو عن حالة المجتمع الذي يتوقع أفراد من بعضهم بعضاً أن يقوموا بالأفعال التي يختارونها لهم، وكان القيد الاجتماعي هي التي ينبغي أن تقودهم، تلك الأفكار التي تتحول إلى قيود بالتراسم، ومن شأنها أن ترسم أنماط مستنسخة عن بعضها، بحيث تلغى الاختلاف وتقولب الجميع بقوالب بائسة، فلا يكون تمايز، أو تجديد أو تمرد أو تغيير.

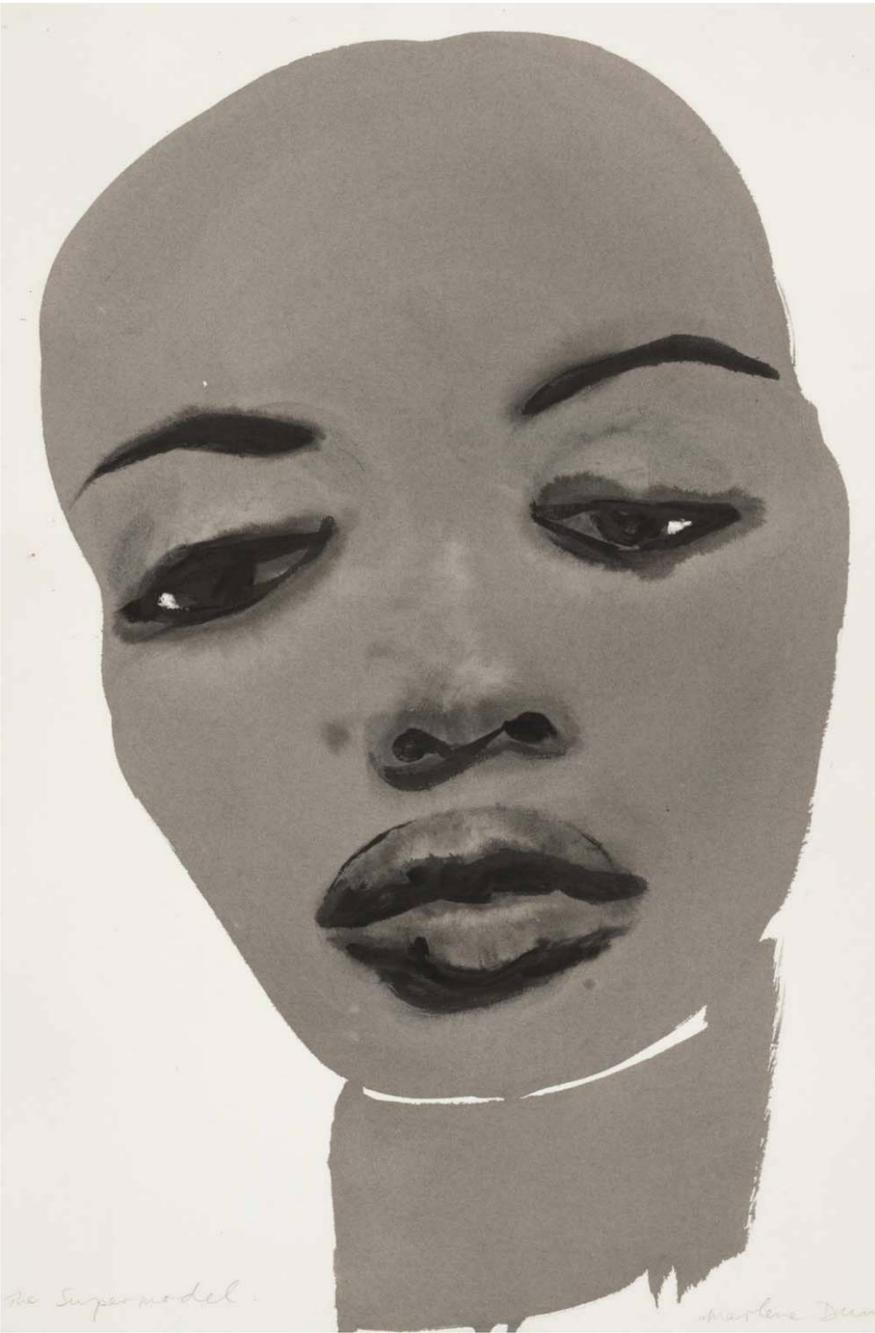
كفاح متجدد

تنتقل الروائية إلى تصوير واقع الرفض الذي يمكن أن يقابل به الشخص الرافض للأفكار الجاهزة المعبأة، وخروجه عن الأنماط السائدة، ومحاولة اختطاطه خطه المستقل، وكيف يقابل ذلك بنوع من الاستهجان، وحتى الإذاعة التي تتسع دوافرها رويدا رويدا، بحيث يجبر على الإذعان للأحكام والأفكار ويبقى نفسه مرتبنا لها ومقيدا بها.

تكون بطلة الرواية يجيد مثال المرأة المكافحة على أكثر من جبهة، فهي تعمل وتحاول تطوير قدراتها وكفاءتها، وتكون على الجبهة الأخرى متواظمة مع زوجها وشريكه في التغيير والتنوير، وتكون مقبلة على الحياة، باحثة لنفسها عن موقع واعتبار، لكن حالتها بعد الزواج، وعدم تمكنها من الإنجاب، الصق بها صورة مختلفة، فرض عليها قيودا مزعجة أذنتها في الضميم.

الأمومة بالنسبة إلى يجيد لغز لا تكاد تجد له حلا بريحا، فهي التي توفيت أمها التي كانت تنتمي إلى جماعة مختلفة باكرًا، وحملتها أعباء الاستمرار وحيدة في حياة شاقة، تجهل أهل أمها، وهي في الوقت نفسه تفشل في أن تصبح أمًا، أي تكون علاقتها معقدة بين كونها أبة لأم راحلة مجهولة الأهل بالنسبة إليها، وزوجة غير قادرة على تحطية محنة الإنجاب، كي تصبح أمًا وتعيش مشاعر الأمومة بكل ما فيها من تدفق وعطاء.

تفتت أديبايو إلى تغيير الناس بين موقف وآخر، وكيف أنهم يبدؤون بمحاصرة من كانوا ينظرون إليهم بطريقة مختلفة قبل وقت قريب، ويتم



امرأة تحاول التخلص من العادات التي تحاصرها



المرأة محاصرة بالتقاليد البالية

الحكم على الشخص من خلال قدرته على القيام بما يتوقع منه، فمثلا يتوقع الأهل من يجيد أن تنجب، وحين لا تتمكن من ذلك، لا يكون تفهم الحالة أمرا يسيرا، ويحضر خلط بين القدرة والإرادة، وكأنها قادرة ولا تريد فعل ذلك.

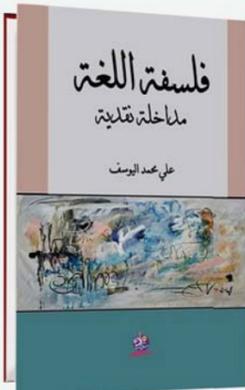
تتناول كذلك جوانب من التخلف الاجتماعي السائد، وبخاصة بين أبناء الطبقات الوسطى الذين يعتقدون أنهم تجاوزوا مرحلة التخلف والجهل وأصبحوا متفكرين بمجرد دخولهم المعاهد والجامعات، أو أصبح لديهم قسط محدد من المال، لكن هيمنة الأعراف البائدة عليهم تكشف الزيف الذي يحاولون إقناع أنفسهم بصديقته وواقعيته واستمراريته وكأنه قانون حياتي.

تعالج أديبايو مفارقات من تفكك البلاد بالموازاة مع التفكك الأسري، والعائلي بمعناه الأوسع، وتبدل العلاقات الإنسانية بطريقة وحشية، والخوف الذي ينتشر في الأجواء ويلوثها بقتامة بائسة، ثم لباس الذي قد يصل في النهاية بالشخصيات الراغبة في غد مشرق وأفضل، إلى تحطيم أمالها المستقبلية.

الفلسفة واللغة

تتوزع صفحات كتاب «فلسفة اللغة مداخل نقدية» للباحث علي محمد اليوسف على سبعة عشر موضوعا جديدا يعرضها بمنهج أكاديمي بعيدا عن النقل الحرفي وتقديس ما يقوله فلاسفة الغرب والعالم عموما ولا يمكن الاقتراب منه نقدا. ولا يفاضل اليوسف بين أفكاره وأفكار الفلاسفة، ويقر بأنه وجد في فلسفة اللغة وعلوم اللسانيات ونظرية المعنى والتحول اللغوي فضاء فلسفيا مفتوحا واسعا يقوم على مركزية اعتبار فلسفة اللغة هي الفلسفة الأولى في تاريخ الفلسفة المعاصر بدءا من النصف الثاني من القرن العشرين وصولا إلى مباحث الفلسفة المعاصرة المتعاقبة معها.

كما يطرح الكتاب ثلاثة مواضيع فلسفية خارج نطاق مركزية مباحث الكتاب حول فلسفة اللغة، في ثلاث موضوعات صعبة وفريدة فلسفيا تناول فيها الباحث مفهوم «الزمن»، ليس كوزمولوجيا علميا بل فلسفيا عناوينها «كانط والزمن»، «الزمن والحركة في فلسفتي أفلاطون وأرسطو»، «الموضوع الختامي هو الزمن والحركة فلسفيا».



خلف كل رقم قصة

بعد ترجمته إلى 10 لغات عالمية صدرت عن الدار العربية للعلوم ناشرون الطبعة العربية للكتاب الأكثر مبيعا على الإطلاق بعنوان «كيف تقودنا الأرقام وتضلنا» والكتاب من تأليف الكاتبة الهولندية الدكتور سانس بلو وترجمة نور العيون حامد ومرامجة وتحرير مركز التعريب والبرمجة في بيروت.

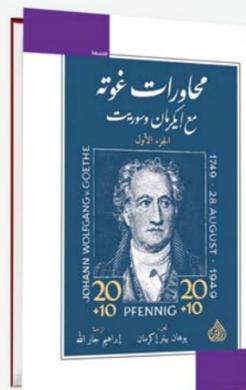
يُعتبر الكتاب أن الأرقام تفرض علينا الإيقاع الذي يجب أن نعيش وفقه، فهي تخبرنا عن أداؤنا في المدرسة، وكما يبلغ وزننا، وتطلعنا على نتائج الانتخابات، ومن خلالها نعرف حالة الاقتصاد. ولكن على الرغم من ذلك لا تبدو الأرقام موضوعية بالطريقة التي تبدو عليها، خلف كل رقم قصة.

يشرح هذا الكتاب في إزالة الغموض عن عالم الأرقام، بحيث يستطيع كل شخص أن يميز إذا كانت الأرقام تستخدم على نحو صحيح أو يتم التلاعب بها، وهكذا يمكننا جميعا أن نسال، ما الدور الذي نود أن تؤديه الأرقام في حياتنا؟



محاورات مع غوته

صدرت عن دار الرافدين للنشر والتوزيع النسخة العربية لكتاب «محاورات غوته مع إيكلمان وسوريت» من تأليف الشاعر الألماني يوهان بيتر إيكلمان. وترجمة إبراهيم جارالله. وكان الكتاب قد نُشر للمرة الأولى في العام 1836، ومن ثم قام المؤلف بإضافة كبيرة إلى الكتاب نُشرت في 1848، ليقدّم محاورات فكرية وأدبية ويومييات ممتعة.



عمل يوهان بيتر إيكلمان كمساعد خاص لغوته في الفترة الأخيرة من حياة الأخير. وسرعان ما أصبح كتابه محادثات مع غوته، ذا شعبية خطت الحدود الألمانية، ولعب دورا مهما في إحياء الاهتمام والتقدير لأعمال غوته في وقت لاحق.

ويقول إيكلمان إن تلك المحاورات «جاءت نتيجة لدافع طبيعي طاف بعقلي لكي أسطر أي جزء عن تجربتي أرى أنه ذو قيمة ومميز. إضافة إلى ذلك فقد كنت أشعر دائما أنني بحاجة إلى التعلم، ليس فقط عندما التقيت بهذا الرجل العظيم، بل عندما عشت معه لسنوات».